مداخلة للمشاركة في الملتقى الوطني جمعية العلماء المسلمين

عنوان المداخلة : ظروف تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، و دفاعها عن مقومات الهوية الوطنية
محور المشاركة: الأول ، التعريف بالجمعية

إعداد الدكتورة : فهيمة بن عثمان، أستاذ محاضر أ، جامعة الوادي

البريد الالكتروني:

benatmane-fahima@univ-eloued.dz

الهاتف:05.57.76.23.39

ملخص المداخلة : لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين النشاط الوحيد لرائد النهضة الجزائرية ابن باديس رحمه الله ، و لكنها كانت النشاط الذي جمع لحمة خيرة علماء الجزائر ، ليوحدوا الهدف و يتعاونوا في رسم و تنفيذ المشاريع التي تقف في وجه الاحتلال الذي لم يدخر منهجا في محاربة معالم هوية الإنسان الجزائري من دين إسلامي و لغة عربية و تاريخ ووطن ، حارب بأساليب خبيثة و هادفة إلى طمس و محي كلما يعرف بالإنسان الجزائري .

تأسست جمعية العلماء على يد عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ، و بعضوية علماء أجلاء ، رسموا و نفذوا مع بعض منهج الدفاع عن مقومات الهوية الوطنية، هادفين إلى إعادة الإنسان الجزائري إلى التاريخ ، و إلى تبوأ مكانة بين الأمم وفق هويته العربية الإسلامية ، حيث سارعت الجمعية إلى بناء المساجد ، و إلى إنشاء الجرائد و المجلات ، و تأسيس مدارس التعليم الأصلي ، و النوادي الثقافية ، و إرسال ووفود و رجال مخلصين إلى كل أقطار الوطن لتعليم أبناء الجزائر و توعية المجتمع بضرورة التمسك بالمبادئ و القيم الإسلامية و عدم تقبل قيود الاستعمار.

الإشكال الذي تعالجه الدراسة : ما هي الظروف التي نشأت فيها الجمعية ، و ما الذي حققته وهي تسعى للحفاظ على هوية الإنسان الجزائري و قد مر على الاحتلال غداة تأسيسها قرن من التخطيط الممنهج للقضاء على كل مقومات الهوية الوطنية؟

خطة الدراسة

المبحث الأول: التعريف بالجمعية

المبحث الثاني : ظروف تأسيس الجمعية

المبحث الثالث : وسائل الجمعية و منهجها في الدفاع عن مقومات الهوية الوطنية

تعتمد الدراسة المنهجين التاريخي و الوصفي.

المبحث الأول : مقومات المجتمع الجزائري التي سعى المستعمر إلى طمسها

يحدد الإمام ابن باديس مقومات الشخصية الوطنية للجزائر في :

1_ عنصر الأمازيغ الذي احتفظ بوجوده قبل الإسلام في وجه الاحتلال فأكد أصالته.

2_ عنصر العرب الذين امتزجوا بالأمازيغ في ظل الإسلام .

3_ نتيجة هذا التمازج المتمثلة في:

_ الحضارة الإسلامية

_ اللغة العربية

_ الجوانب الايجابية في الماضي

_ الجوانب الايجابية في العصر الحاضر[1]

سياسة فرنسا اتجاه مقومات الشخصية الجزائرية

حين جاءت فرنسا إلى الجزائر لم يكن هدفها نهب ثروات و خيرات الجزائر فقط، بل كان هدفها أكبر من ذلك ، فقد أرادت الاستيطان و تحويل الجزائر إلى قطعة لا يمكن تجزئتها عن فرنسا، و لكن لتحقيق هذا الهدف كان لابد من تخطيط مركز، واتخاذ تدابير تكفل تحقيق ما أرادوا ، و رأى الاستعمار الفرنسي أن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا إذا طمس معالم هوية الإنسان الجزائري ، هذه المعالم التي تميزه عن أي إنسان آخر في العالم، و بحث الاستعمار ووجد أن المعالم المشكلة للإنسان الجزائري هي:

_ اللغة العربية ، و الدين الإسلامي، و التاريخ العربي الإسلامي ، و الإقليم أو الوطن و هو الجزائر.

شن الاستعمار حربا هوجاء و هاجم هذه المعالم أينما وجدها رغبة في تمسيخ الشعب الجزائري، و طمس مميزاته، حتى يكون أنسانا بلا هوية، و أنسانا بلا شخصية ، إما أن يتبع فرنسا أو يعيش تائها بين الشعوب.

لقد لعبت المدرسة الفرنسية بإمكانياتها الهائلة و دورها المرسوم بكل دقة و مهارة في هذا الميدان كما خططه لها قادة الاحتلال حتى كادت اللغة العربية و الثقافة العربية تندثران

[1] _ محمد الميلي، ابن باديس و عروبة الجزائر ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، 1980،ص49

في الجزائر بعد مرور مائة عام على الاحتلال ، لأن فرنسا أرادت أن تجعل مستعمراتها فرنسيين لحما و دما حتى يندمجوا فيها و يكونوا جزء من فرنسا الكبرى2 ، لهذا عمدت إلى:

_ بالنسبة للتاريخ الإسلامي للجزائر :

_ منع الاستعمار تدريسه لأبناء الجزائر في المدارس الحكومية الفرنسية، و حظر تدريسه على مدارس التعليم العربي الحر، و عمل على تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة و الإسلام، و حاول إسدال ستار كثيف على وقائع هذا التاريخ حتى لا يعرفه الجزائريون على حقيقته الناصعة،

_ حصروا اهتمامهم على حقبتين من تاريخ الجزائر هي العهد الروماني قبل الاستعمار ، و عهد الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي، أي بعد الاحتلال مهملين عن عمد مقصود تاريخ الجزائر في ظل الإسلام، و كان الهدف هو الإيحاء للجزائريين بأن بلادهم فرنسية في حاضرها و مستقبلها و رومانية في ماضيها3

2_ أما المعلم الثاني من معالم شخصية الإنسان الجزائري فهو الوطن الجزائر، و هو جزء يتجزأ من الوطن العربي الأكبر، فقد منعت فرنسا تدريس جغرافية الجزائر لأبناء الجزائر سواء في مدارسها الفرنسية أو في مدارس التعليم الحر، و كانت تدرس لهم لهم جغرافية فرنسا بالتفصيل الوافي ، حتى يعرف الجزائريون كل شيء عن الوطن الفرنسي و لا يعرفون شيئا عن وطنهم الجزائر، و كان ذلك بقصد استبدال عاطفة الولاء للوطن الجزائر و حبه في نفوسهم ، و يحبوا و يوالوا وطنها الفرنسي حتى يسهل عليها عملية سلخهم من شخصيتهم الوطنية، و إدماجهم في كيانها العام4.

4_ اللغة العربية و الدين الإسلامي: كان المستوطنون الأوربيون يرون في تعليم أبناء الجزائر خطرا عليهم، لأن تعليم الشباب الجزائري يجعله يطالب بحقوقه السياسية و الإدماج و بالمساواة مع الأوربيين ، و لهذا نجح المستوطنون في إقامة مدارس لأبنائهم و لكنهم أغلقوا الباب في وجه أبناء الجزائر5 .

_ القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية و التي تتمثل في المدارس و الجوامع و الزوايا التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال .

---

[2] _ رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، دط، 1981، ص188

[3] _ المرجع نفسه، ص97

[4] _ رابح تركي، ص97

[5] _ عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص179

_ حوّل بعض المعاهد إلى معاهد للثقافة الفرنسية ، و سلّم البعض منها إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذت منها مراكز لنشاطاتها ف هدم عقيدة الجزائريين، و هدم البعض منها بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية.

_ نهب الاحتلال الفرنسي التراث الثقافي العربي الإسلامية الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخططات و الوثائق و الكتب، فضلا عن المكتبات التي أحرقوها أو بعثروها، كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية.

_ استولى منذ الأيام الأولى على الأوقاف الإسلامية .

_ صادر معظم معاهد التربية و التعليم باللغة العربية التي كانت موجودة في الجزائر قبل الاحتلال و حوّل الباقي إلى معاهد للتعليم الفرنسي الخالص.

_ جعل التدريس في جميع المدارس الحديثة باللغة الفرنسية و حدها و منع تدريس اللغة العربية لأبناء الجزائر في المدارس الابتدائية بقصد القضاء على اللغة العربية .

_ أصدر سنة 1883 قانونا رسميا اعتبرت فيه اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر[6] .

حارب حركة التعليم الحر الذي يموله الشعب من التبرعات العامة تتلاشى اللغة العربية شيئا.فشيئا في الجزائر[7].

و مع هذا المكر و هذا التخطيط و مع أن فرنسا مكثت في الجزائر قرنا و ثلث قرن ، كانت مدة كافية لتجريد الشعب من هويته و تحويله إلى إنسان لا هو جزائري ولا هو فرنسي ، و لكن كل هذا لم يقع ، و مع مكوث الاستعمار قرنا و ثلث قرن بقيت الجزائر عربية اللغة و مسلمة الدين و عربية إسلامية الانتماء ، كان ذلك بمثابة المعجزة ، وهذا بسبب جهود المخلصين و من بينهم ابن باديس رحمه الله.

المبحث الثاني : وصف الفترة التي نشط فيها ابن باديس رحمه الله

لقد شهد عصر ابن باديس تحكم الجاهلية الفرنسية في الجزائر ، و تأثر بعض النخبة من أبناء الجزائر بالثقافة الفرنسية ، و كذا سيطرة الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي سيطرة واسعة ، مما أدى إلى انتشار البدع و الخرافات و الاعتقادات الواهية ، هذه الحالة السيئة أقلقت ضمير العلماء السلفيين المصلحين في الجزائر ، مما جعل ضمير العلماء

---

[6] _ رابح تركي، مرجع سابق ، ص95

[7] _ رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط3، 1981، ص153-154

يتحرك إلى معالجة القضايا الفكرية و الشرعية و التربوية التي ابتليت بها الأمة الإسلامية على العموم و المجتمع الجزائري على الخصوص 8.

أما على الصعيد الاجتماعي أدى تدهور الحالة الاقتصادية إلى تفشي البطالة و انتشار الأوبئة و الأمراض المعدية، و ظهور الخلافات المذهبية و العرقية الخطيرة التي أحدثها المحتل.و على الصعيد الديني فنلاحظ تراجع مستوى التعليم في الجزائر ، و انتعاش الطرقية جراء استقوائها بالغازي المحتل مما سهل على المحتل السيطرة على المؤسسات الدينية و تدخله في شؤون المرأة الجزائرية و سعيه لتشويه الدين الإسلامي عن طريق المستشرقين و بعثاته التنصيرية المكثفة. 9

كل هذه الظروف المزرية حركت علماء و مصلحي الأمة و من بينهم الإمام ابن باديس رحمه الله، الذي اقتحم عوالم متنوعة ليدافع عن وطنه و شعبه، حيث نجده في التعليم و التربية و في السياسة و في الصحافة ، ليسهم في نهضة الشعب الجزائري فكرا و عقيدة و سلوكا، و يمكن تلخيص أهدافه في :

_ إحياء اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في البلاد.

_ تقوية الشعور بالشخصية الإسلامية الجزائرية و الدفاع عنها.

_ تطهير الدين من الخرافات و البدع.

_ المحافظة على التراث العربي الإسلامي.

_ العمل على تحرير الجزائر من سيطرة الاحتلال الأجنبي10.

المبحث الثالث: نشاط ابن باديس للحفاظ على هوية الوطن

عند عودة ابن باديس رحمه الله تعالى من المشرق شرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، و هو إنقاذ الأطفال الجزائريين و شبابهم من هوة الجهل و التخلف، فبدأ بدروس للصغار ثم الكبار، و المسجد هو المكان الرئيسي لنشاطه، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين، و لكن نشاطه كان متعددا و اهتماماته كثيرة لا يكتفي أو يقنع بوجهة واحدة فاتجه إلى الصحافة بهدف نشر أفكاره الإصلاحية ، و كان أول ما كتب في

---

[8] _ باي زكوب عبد العالي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته و آثاره، مقال منشور في مجلة الإسلام في آسيا، تصدر عن الجامعة الماليزية العالمية ، العدد 1، يونيو ، 2015

[9] _ مازن صلاح مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم ، ط1، 1988،ص44-48

[10] _ رابح تركي، الشيخ ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، دت، دط، ص153

الصحافة نشر في صحيفة النجاح منذ 1919، لنشر أفكاره و توعية الشعب الجزائري و أصدر11:بدأت الحركة الإصلاحية الجزائرية في البروز في العقد الثالث من القرن العشرين، و يعود ذلك إلى عودة بعض المهاجرين الذين سبق لهم أن انتقلوا إلى المشرق الإسلامي ، إما هربا من التجنيد الإجباري أو طلبا للعلم و من أبرز هؤلاء ابن باديس أصدر جريدة المنتقد عام 1925، و التي منعتها الإدارة الاستعمارية من الصدور12 .

المبحث الرابع: التعريف بجمعية العلماء

نشأت جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931م، في الجزائر العاصمة ، و هي ثمرة أبحاث مضنية و فترة طويلة من التلمس، و تستمد هذه الجمعية أصولها من تصارع متأن للأفكار بين مختلف المثقفين الجزائريين المعربين في اطار مجلة ابن باديس المسماة الشهاب انطلاقا من عام 1925. 13 .

يعود فضل المبادرة في إنشاء الجمعية للمثقفين المسلمين، ذوي التكوين الزيتوني أو المشرقي،و بالضبط لابن باديس ، و ترتقي إلى سنة 1924، في هذا التاريخ اتصل ابن باديس برفاقه و زملائه بقسنطينة و ضواحيها لإقناعهم بفائدة إنشاء جمعية تدعو إلى الأخوة الفكرية ، تكون غايتها :

_ توحيد المثقفين المعربين.

_ تمكين المثقفين من التعارف على أحسن وجه.

_ تنسيق الجهود في مجال التعليم العربي الحر.

_ توحيد المذهب الديني 14 .

بعد انشاء المنتقد ثم الشهاب كان ابن باديس يهدف إلى التقارب بين المثقفين المسلمين الجزائريين أصحاب النزعة الإصلاحية ، ثم وجه نداء إلى العلماء الإصلاحيين للتنظيم ضمن جمعية تجمعهم و توحدهم.

العوامل الداخلية التي ساهمت في إنشاء

---

[11] _ عقيلة حسين، جهود ابن باديس في الحفاظ على السنة النبوية، مقال منشور على الأنترنيت

[12] _ رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، بين الاتفاق و الاختلاف، 1920-1954، الجزائر ، دار كوكب للعلوم، ط2، 2012، ص91

[13] _ علي مراد، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007، ط2، ص143

[14] _ علي مراد، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007، ط2، ص143

_ المرجعية الدينية الإسلامية للعلماء الجزائريين بأنهم حزب الله ، مهما تفرقوا في الأمصار .فالقوة القرآنية تغذي الوعي الإسلامي نحو الوحدة ، و هي وحدة متفشية و كامنة ، و المصلحون يسعون دوريا إلى ايقاضه، و تحويلها إلى قوة اجتماعية يمكن أن تكون حركيتها هائلة.

_ لم شمل العلماء و المتعاطفين مع الحركة الإصلاحية دون تمييز اجتماعي أو فكري.

_كان الوعي الشعبي و التراث الإسلامي شروط النجاح الأساسية للمبادرة البادیسية .

العوامل الخارجية :

_ وهب المجتمع الجزائري لابن باديس و أصدقائه أمثلة مشجعة ، حيث كانت هناك كنيسة كاثوليكية مثلا للتنظيم و الفاعلية الدينية.

_ أخذ المسلمون في الاستئناس بمختلف المؤسسات و الأحزاب الأوروبية .

_ الإصلاحيين بوصفهم مثقفين معربين لم يستطيعوا إهمال الطبقة الجديدة التي أخذت في البروز على الساحة الثقافية للجزائر في السنوات الأولى لما بعد الحرب،و يتعلق الأمر بخريجي المدارس الرسمية (العاصمة و تلمسان و قسنطينة) كان هؤلاء يشكلون الإطارات الاجتماعية و الدينية للجماعة المسلمة(قضاة ، محامون،تراجمة،أمناء البلديات،مدرسون، أئمة،مفتون..)كانوا يتبدون كمنافسين شرسين بالنسبة للاصلاحيين الذين كانوا يسعون إلى توسيع هيمنتهم و بسطها على جميع أوجه الحياة الاجتماعية لمسلمي الجزائر.

_ التأثر بأفكار رشيد رضا الذي كان يدعو في كتاباته إلى تأسيس حزب إسلامي معتدل15

المبحث الخامس: أهداف جمعية العلماء المسلمين:

حددت جمعية العلماء أهدافها في منشور للجمعية نشر في العدد 160 من جريدة البصائر الصادرة في 7 أفريل 1939: و تتمثل في :

_ في التربية و التعليم تسعى الجمعية إلى :

_ تطهير الدين من البدع و الخرافات التي لصقت به

_ إيقاد شعلة الحماسة في القلوب بعد أن بذل الاحتلال جهده في اطفائها حتى تنهار مقاومة الاحتلال في قلوهم.

---

[15] _ علي مراد، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007، ط2، ص147

_ إحياء الثقافة العربية.

_ المحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية و الدينية و التاريخية .

_ مقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء على مقومات الهوية الجزائرية

_ احياء اللغة العربية ، و بعث التاريخ الإسلامي على نطاق واسع.

_ اعداد نخبة من الرجال و النساء ليكونوا عمدة في نهضة الوطن.

_ اصلاح أساليب التعليم و طرق التدريس و إصلاح الكتب المدرسية .

أسست جمعية العلماء شعبا (فروعا) لها على المستوى الوطني و قد بلغ عدد الفروع إلى 58 فرعا 1938

نظمت الجمعية بعثات تعليمية لخريجي مدارس الجمعية و معاهدها إلى المشرق العربي، و أولت اهتماما كبيرا بالتعليم المسجدي ، ووضعت برامج لنشر التعليم الديني و العربي للصغار المبتدئين، و تدارك النقائص التي عانى منها الملتحقون بالمدارس الفرنسية .

كما اهتمت الجمعية بتعليم الكبار و خصصت لهم دروسا في الوعظ و الإرشاد و محو الأمية .

كان للجمعية مجموعة من الجرائد هي : جريدة السنة المحمدية ، جريدة الشريعة ، جريدة الصراط، جريدة البصائر 16 ..

.

[16] _ https://ar.wikipedia.org/wiki

المبحث السادس :الإنتاج الصحفي لابن باديس في نظر الباحثين

كان ميل ابن باديس إلى كتابة بعض المقالات و البحوث التي ينشرها في بعض الجرائد لأنه مطلوب منه توعية العامة من الناس بدينهم و لغتهم و ثقافتهم و هويتهم و أصولهم ، و من هنا يقول: " شغلنا تأليف الرجال عن تأليف الكتب" 17.

أغلب ما وصلنا من كتابات ابن باديس هو ما كان ينشره في الصحف و المجلات على امتداد عقدين من الزمن ، أي ما بين 1925 و 1939، و كان ابن باديس يولي الجرائد و المجلات اهتماما كبيرا، لأنها تعبر عن وجهة نظره منبر قوي للدفاع عن الحق في الجزائر و الصدح به، و حسن تبليغه ، لقد استعان ابن باديس بالأدوات التي كانت متوفرة في عصره18. دخل ابن باديس الصحافة ليستخدمه في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و المطالبة بالحقوق .

يذكر الباحثان عمار طالبي و رابح تركي أنه خلال هذه المدة التي كانت تصدر فيها الشهاب كانت جمعية العلماء الجزائريين برئاسة عبد الحميد بن باديس تقوم بشاط صحفي يتمثل في جرائد أسبوعية فتأسست صحيفة السنة النبوية 1933، ثم صودرت بعد ثلاثة أشهر من صدروها، فخلفتها مباشرة بعد أسبوعين جريدة الشريعة المطهرة، ثم صودرت بعد ثلاثة أشهر و خلفتها الصراط السوي19.

أسلوب ابن باديس في الكتابة الصحفية مختلف اختلافا كبيرا عن أسلوبه في كتابة التفسير و الحديث و الموضوعات الأدبية، و يمتاز بأنه أسلوب مباشر ، قصير الجمل، و مركز و مفحم للخصم ، و طافح بالسخرية اللاذعة خصوصا عندما يكون الأمر متعلقا بمنافسيه المتهجمين على الشخصية القومية سواء كانوا جزائريين أم أجانب20.

---

[17] _ ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص14

[18] _ رابح تركي، الإمام عبد الحميد بن باديس و فلسفته في التعليم، ص188

[19] _ الشيخ عبد الحميد بن باديس و فلسفته في التعليم، ص187_188

[20] _ الشيخ عبد الحميد بن باديس و فلسفته في التعليم، ص117_188، و عمار طالبي، ج1، ص87-88